Journal of Scientific Research in Arts
ISSN 2356-8321 (Print)
ISSN 2356-833X (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/?lang=en

Critical Discourse in (Arab Criticism Towards a Second Theory) by Dr. Mustafa Nassif

Dr. Amal S. Muhammad Yahya
Teacher in the Arabic Language Department
Faculty of Al-Alsun- Ain Shams University - Egypt
amalshowkey@gmail.com

Received: 13-7-2023 Revised:14-9-2023
Accepted: 19-2-2024 Published: 29-1-2024

DOI: 10.21608/jssa.2024.229095.1537
Volume 25 Issue 1 (2024) Pp.85-114

Abstract

Dr. Mustafa Nassif is considered a unique type among his peers and members of his generation. He is also one of the most prominent critics in the modern era. He is an imam in all his specialties, criticism and writing .The research adopts the practice of (criticism of criticism) according to Dr. Mustafa Nassif in his critical discourse, while applying the descriptive analytical method, which relies on the analysis of critical discourse, which leads to a critical theory of the critic. As it becomes clear to the reader his approach to dialogue with others, and taking the statement in a specific way; To present his opinion and evaluate what needs to be evaluated in his view, this research was titled: Critical Discourse in the Book (Arab Criticism Towards a Second Theory) by Dr. Mustafa Nassif. The research was divided into these points : The critic's intellectual reference, the procedural tools relied upon, expressive formulation (methodological issues) that establish his critical approach, illuminated knowledge of criticism.

Keywords: Dr. Nassif, criticism of criticism, critical approach, modern criticism.

الخطاب النقدي في كتاب
(النقد العربي نحو نظرية ثانية) للدكتور مصطفى ناصف

د. آمال شوقي محمد يحيى
مدرس بقسم اللغة العربية
كلية الألسن- جامعة عين شمس- مصر
amalshowkey@gmail.com

المستخلص

يعد دكتور مصطفى ناصف نمطًا فريدًا بين أقرانه وأبناء جيله، كما أنه أحد أبرز النقاد في العصر الحديث، فهو إمام في تخصصاته كافة نقدًا وتأليفًا. ويعتمد البحث ممارسة (نقد النقد) عند دكتور مصطفى ناصف في خطابه النقدي مع تطبيق المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد تحليل الخطاب النقدي الذي يفضي إلى نظرية نقدية لدى الناقد؛ إذ يتبين للقارئ منهجه في محاورة الآخر، واتخاذ القول على طريقة بعينها؛ لعرض رأيه وتقييم ما يحتاج إلى تقييم في نظره، وقد جاء هذا البحث بعنوان: الخطاب النقدي في كتاب (النقد العربي نحو نظرية ثانية) للدكتور مصطفى ناصف. يسعى البحث إلى تحديد المجال المعرفي للناقد الأدبي بوصف العمل النقدي نشاطًا ذهنيًا له "مرجعية فكرية"، و"خطوط إجرائية"، و"صياغة تعبيرية". وتتضافر هذه المحاور الثلاثة لتكوين مفهوم النظرية النقدية عند دكتور مصطفى ناصف. والهوية العلمية للنقد في حاجة إلى البحث المنهجي لمقاربة طبيعته الجامعة بين العلمية والفنية، واستكشاف كيفية تحققها في صياغة تعبيرية متناغمة داخل خطاب الناقد. فالبحث يتوجه إلى معالجة مادة نقدية بعينها هي الخطاب النقدي؛ بُغية الوصول إلى سمات عامة يمكن النظر إليها بوصفها دعامات أساسية لهُويّة الناقد بين العلم بأفكاره ومنطلقاته ومفاهيمه، والفن بحدسيته وجمالياته وقصديته. وتم تقسيم البحث لهذه النقاط: المرجعية الفكرية لدى الناقد، الأدوات الإجرائية التي اعتمد عليها، الصياغة التعبيرية (القضايا المنهجية) التي تؤسس لمنهجه النقدي، المعرفة المضيئة لنقد النقد.

الكلمات المفتاحية: د. ناصف، نقد النقد، المنهج النقدي، النقد الحديث.

مقدمة

يُعد كتاب (**النقد العربي نحو نظرية ثانية) للدكتور مصطفى ناصف**[1] بحثًا في التأويل الثقافي بدراسة الوجه الثقافي الكامن في النصوص حمايةً لها من ضيق الأفق والاحتراف وإقامة حدود مصطنعة؛ إذ يقول: "لقد

[1] – مصطفى ناصف من مواليد سمنود محافظة الغربية عام ١٩٢٢م، حصل على دكتوراه البلاغة من جامعة عين شمس عام ١٩٥٢، له العديد من الأعمال الأدبية والنقدية منها: "صوت الشاعر القديم"، "الوجه الغائب"، و"اللغة والبلاغة والميلاد الجديد"، و"اللغة والتفسير والتواصل... وغيرها. انظر ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية (مارس ٢٠٠٠م)، ص ٢٧٩.

حاولتُ نمطًا خاصًا من التأويل الثقافي منذ الصفحات الأولى، ولابد أن يكون هذا التأويل تجربة. إنني أميز أحيانًا بين الفكرة والتجربة، لقد أخذت نفسي بالمغامرة والحدس والسؤال المستمر".[٢]

ويعود التأريخ للتأويل وتطبيقاته إلى مدى بعيد، "والتأويل، بالطبع، ليس فاعلية مخترعة من قبل المنظرين الأدبيين للقرن العشرين، بالفعل، هناك تاريخ طويل من الالتباسات والنزاعات حول كيفية تمييز تلك الفاعلية في الفكر الغربي وكان أهم ما استثارها هو المهمة الضخمة التابعة لذلك من تأسيس معنى كلمة الرب. ويؤرخ لبدء المرحلة الحديثة لهذا التاريخ بنحو جوهري مع بروز الوعي تجاه مشكلة المعنى النصي الذي أنتجته الهرمينوطيقا الإنجيلية المرتبطة بشلير ماخر عند بداية القرن العشرين، ومع جعل مركزية التأويل في فهم مجمل إبداعات الروح الإنسانية أساس التخطيط لنطاق كامل من العلوم الروحية".[٣]

ويقترح **"إيكو"** "أن يكون هدف النص هو إنتاج القارئ النموذجي (القارئ الذي يقرأ النص كما صُمِّم"، وبهذا يكون **التأويل المشروع** مقصدًا من مقاصد القراءة التي تنأى عن **التأويل المفرط** دون حاجة ملحة لإثبات صحة تأويله عن غيره.[٤]

- التعريف بالموضوع ومشكلة البحث:

إن **"التأويل الثقافي"** هو منهج **الدكتور ناصف** في الكتاب، والتأويل في النقد الحديث له تصورات عدة، نجد منها في دليل الناقد الأدبي **تصورين**:

الأول: "تحديد المعاني اللغوية في العمل الأدبي من خلال التحليل، وإعادة صياغة المفردات والتراكيب. ومن خلال التعليق على النص لحل مقاصده الثقافية".

الثاني: "توضيح مرامي العمل الفني ككل. ومقاصده باستخدام وسيلة اللغة. وبهذا المفهوم ينطوي التأويل على شرح خصائص العمل، وسماته مثل النوع الأدبي الذي ينتمي إليه، وعناصره وبنيته وغرضه وتأثيراته"[٥]؛ لذا فإن غاية التأويل على هذا النحو خدمة الثقافة العامة بشتى مناحيها.

وقد خلص **الدكتور "عبد الرحمن عبد السلام"** إلى بعض مدلولات التأويل المعجمية[٦]، وهي:

"١- إن التأويل هو إرجاع إلى الأول، وكأنه فعل يبحث في الجذور وعن الأصول المطمورة، أو هو كشف عن الأوليات البادية والخفية.

---

[٢]- ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية (مارس٢٠٠٠م)، ص ٧.

[٣]- إيكو: التأويل والتأويل المفرط (٢٠٠٩م)، ص ١٠.

[٤]- السابق، ص ١٦، ١٧.

[٥]- الرويلي والبازغي: دليل الناقد الأدبي، (٢٠٠٢م)، ص ٨٨.

[٦]- التَّأْويل: تفسير ما يَؤُولُ إليه الشيء. وقد أَوَّلْتُهُ وتأَوَّلْتُه، تأوّلاً بمعنىً. وآلُ الرجل: أهلُه وعيالُه. وآلُهُ أيضاً: أتباعُه. انظر الفيروز آبادي: القاموس المحيط، (١٩٩٥م) مادة أوّل.

٢- إن التأويل اشتغال عقلي على الأمر المؤول ينبغي الإحاطة به عبر فعل التدبر، وتقويمه من خلال المَعْيَرَةِ والوزن في التقدير. وكأنه سعي لفتح مدار الاشتغال العقلي على مجاوزته الجزئي الظاهر في المساق إلى الكلي المتواري في السياق وحيثيات ملابساته.

٣- إن التأويل طاقة متوثبة صوب ثقب الغياب واستشراف المستقبل من خلال قدرته على "عبارة الرؤيا" أو "عبورها" على حد نص القرآن الكريم في شأن رؤيا الملك في مصر زمن يوسف الصديق ﴿ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[٧]."[٨]

ومما سبق تظهر إمكانات التأويل في استقراء النصوص والخطابات الموجهة؛ إذ يعد العتبة الأساسية في فهم مراد النص على نحو يمكن من الوصول إلى الحقيقة، أو الاقتراب منها قدر المستطاع بوعي يمكن الناقد من المزج بين المعجمي والاصطلاحي على حد سواء.

والتأويل عند د. ناصف هو تلك العلاقة مع النص القريبة منه، فهو "حوار خلاق بين النص والقارئ. حوار يُضفي على النص معنى يشارك فيه طرفان. ليس للنص معنى بمعزل عن قارئ نشيط يستحثه، ويقلب فيه الظن بعد الظن، ويتصوره قادرًا على الإلهام وعبور المسافات الطوال، والقرون الممتدة بين الحاضر والماضي. التأويل لا يثق في التفرقة الحادة بين فكرة القديم وفكرة الحديث. إننا نحب أن نرى بعيوننا. وليس للنص من معنى بمعزل عن همومنا ومآزقنا ومخاوفنا وآمالنا جميعًا"[٩].

ويرى الدكتور جابر عصفور تلك العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر في قراءة النص التراثي أنها علاقة حاضرة هنا والآن "إذا كان فعل القراءة هو وصل جدلي بين حضور النص التراثي"هناك" وحضوره "هنا" فإن كل قراءة منجزة هي "المركب الثالث" الذي يجمع بين الطرفين في علاقة كاشفة لكل منهما على السواء. فمن المؤكد أن كل قراءة تكشف عن عالم قارئ النص التراثي بقدر ما تكشف عن عالم النص المقروء".[١٠] فاللحظة الآنية في الشعور بالنص التراثي محور تأمل دكتور ناصف للنص حتى يصل إلى كنه تلك العلاقات.

إن كلام **ناصف** عن التأويل في سياق التجربة، والسؤال، والحدس يقتضي فتح الكلام عن الظاهراتية التي أتى بها الفيلسوف الألماني **"إدموند هوسرل"**[١١] Edmund Husserl بصياغة فكرة الظاهراتية بوصفها علمًا شعوريًا من أجل تحقيق وحدة الوعي وإعادة تأسيس نظرية العلم؛ إذ استطاعت شق طريق ثالث بين المنطق

---

[٧]– سورة يوسف، آية ٤٣.

[٨]– عبد السلام: فتنة التأويل المتنبي من النص إلى الخطاب (٢٠١٦م)، ص ٦٠.

[٩]– ناصف: محاورات مع النثر العربي، (فبراير ١٩٩٧م)، ص٧.

[١٠]– عصفور: قراءة التراث النقدي، (١٩٩٤م)، ص١١.

[١١]– ولد هوسرل في تشيكو سلوفاكيا، وتلقى تعليمه في الجامعات الأسترالية والألمانية، واتجه إلى الفلسفة بعد حصوله على درجة الدكتوراه في الرياضيات، وهو مؤسس الفلسفة الظاهراتية المعروفة الآن، وهو صاحب النظرية القصدية وهو القائل إن الوعي بالشيء يتجلى بوضوح في القصدية. انظر تركي المساعيد: الفلسفة الظاهراتية، ص٤.

الصوري الذي يمثل القوالب الكلية العامة (المذهب المثالي العقلي) وبين العلم التجريبي الذي يعتقد في معارف كلية، وكان هذا الطريق الثالث هو (الشعور). وذلك من خلال منهج مؤلف من خطوات ثلاث:

-الخطوة الأولى:(تعليق الحكم) لإبعاد الواقع المادي، وهو يعني وضع العالم بين قوسين وإخراجه عن دائرة الاهتمام.

-الخطوة الثانية: عدم الحديث عن الظاهرة المادية بإزاحتها جانبًا.

-الخطوة الثالثة: عدم إصدار حكم عليها؛ وذلك بهدف القضاء على الاتجاه الطبيعي بكل مظاهره[١٢].

تعد الظاهراتية بتركيزها على بنى المعنى في الوعي وثيقة الصلة بالهرمنيوطيقا، وهي دراسة تفسير النصوص. إن نظرية القصدية واحدة من أهم الأفكار التي قامت عليها الفلسفة الظاهراتية، والقصدية أو الوعي بالشيء هي أساس كل المعاني والدلالات التي تتجسد في الحياة التي نعيشها[١٣].

إذًا فالوعي بالشيء وملاحظة شعوره وإحساسه دون إصدار أحكام مسبقة عليه يستدعي في النفس شعورًا ما، أو ينبئ بحدث ما في المستقبل، ومن هنا كان الربط بين الظاهراتية والتأويل أو الهرمنيوطيقا بوصفها دراسة تفسير النصوص.

المنهج المتبع:

وأما المنهج الذي تتبعه هذه القراءة فهو المنهج التحليلي الوصفي مع ممارسة **"نقد النقد"**، ويقصد بنقد النقد وفق تعريف الدكتور محمد الدغمومي أنه "إبستمولوجية نوعية خاصة بموضوع معرفي هو النقد الأدبي، ويقف على عتبة العلم، ويبني نفسه على أساس نموذج من نماذج العلم مثله مثل خطاب التنظير النقدي؛ هذا الخطاب الذي كثيرًا ما يلتبس ويتداخل مع **"نقد النقد"** ويقف على عتبة قريبة، إن لم تكن هي عتبة نقد النقد نفسها، حيث يشتغل على النقد بقصد إنتاج معرفة مقترحة جديدة بصورة نظرية لها قوة العلم أيضًا."[١٤]

ومن التعريف السابق الذي تجمع مفرداته (الإبستمولوجية، وإنتاج معرفة مقترحة، وخطاب التنظير النقدي، ونقد النقد، وإنتاج معرفة مقترحة

جديدة) يتبين أن **"نقد النقد"** مرحلة تالية على مرحلة النقد الأولى، ويبين الشكل الآتي مراحل إنتاج النص وقراءاته المتعددة. والإبستمولوجية هي "ذلك الاختصاص الذي يتخذه من المعرفة العلمية حصرًا أي الإبستيمي، موضوعًا له".[١٥]

---

[١٢]- خوري: مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، (١٩٨٤م)، ص ٢٧ وما بعدها.

[١٣]- مكاريك: موسوعة النظرية الأدبية المعاصرة (مداخل، نقاد، مفاهيم)، (١) مداخل، ترجمة: حسن البنا، (٢٠١٦م)، ص ٥٤٥.

[١٤] – الرويلي، والبازعي: دليل الناقد الأدبي، (٢٠٠٢م)، ص١٠.

[١٥]- الدغمومي: نقد النقد وتنظير النقد العربى المعاصر، (١٩٩٩م)، ص ٧.

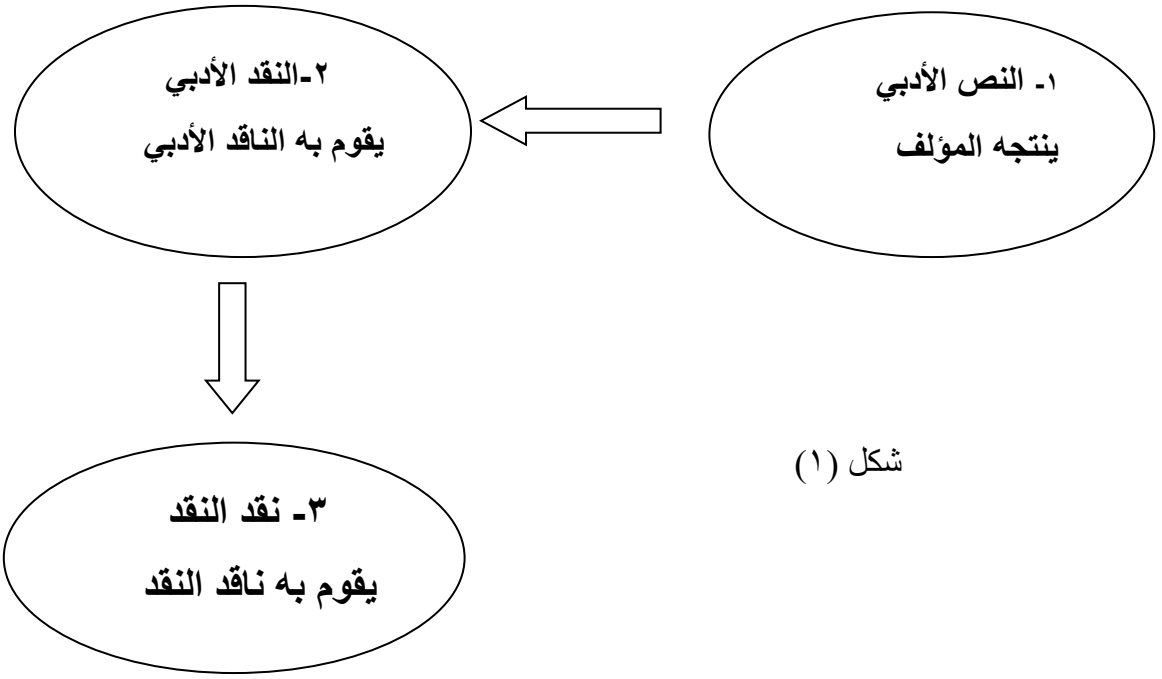

شكل (١)

ومن خلال الشكل السابق يبدو أن النص الأدبي الذي ينتجه المبدع يتعرض للنقد الأدبي الذي يقوم به ناقد أدبي سواء أكان منتجًا أم غير منتج فهو يحاور النص، ويعتمد أحد المناهج النقدية التي تؤدي به النتائج المرجوة من دراسته، ثم يأتي دور ناقد النقد الذي يمتلك مساحة أوسع في تجربة جديدة؛ لأنه يتعرض لنصين؛ أولهما: النص الأصلي، وثانيهما: النص النقدي؛ فيقدم قراءة تطبيقية مقترحة وواعية لاستقبال النقد الأدبي.

لذا فإن مفهوم د. الدغمومي لا يقتصر على تحديد المفهوم فقط، وإنما يتعداه بتحديد الوظيفة أيضًا. فنقد النقد يرتقي إلى درجة الكيان المعرفي بين كيانات العلوم الإنسانية[١٦]، فهو تحقيق يصادف تفكيك النص النقدي من أجل إعادته إلى عناصره المشكلة له. فالهدف الأساس من قراءة النصوص النقدية هو إعادة صياغتها على نحو يروق للنقد.

ويختلف قارئ النص الأدبي عن قارئ النص النقدي؛ إذ لابد لقراءة النص النقدي أن تتسم بعدة سمات كما ذكرها الناقد باقر جاسم محمد، منها:

١- تتسم قراءة ناقد النقد بالموضوعية، وتبتعد عن التهكم والسخرية.
٢- تنتج علاقة جديدة معقدة بين القارئ، والنص، والنقد المكتوب عنه.
٣- تتخذ شكل ردود واعتراضات وآراء الناقد الأول.

[١٦]- محمد عطية، (٢٠١١م)، ص ١٢.

٤- تدفع قارئ نقد النقد إلى العودة للنص الأدبي، وإلى النقد الذي كتب حوله؛ ليتوصل إلى تكوين صورة منصفة لكل ما كتب[١٧].

بناءً على ما سبق يمكننا القول: إنه إذا كان (النقد) هو كل العبارات الخاصة بدراسة الأعمال الأدبية فإن (نقد النقد) هو الذي يضع هذه العبارات موضع الفحص والمساءلة، وقد حدد الدكتور "جابر عصفور" في كتابه (قراءة التراث النقدي) وظيفة أخرى لنقد النقد بأنه يدور حول مراجعة القول ذاته، وكذلك فحصه؛ "حيث تنعكس الكتابات النقدية على نفسها، لتحدد أصولها ومنطقها وآلية فعلها، وتؤسس نفسها في علاقتها بأدوات إنتاجها للمعرفة النقدية، على نحو ما نجد، ضمنًا وصراحة، ورغم المغايرة الكمية في كل النصوص النقدية أو نقد النقد".[١٨]

أما الموضوع الذي يتناوله (**نقد النقد**) فقد أطلق كثير من النقاد على (**نقد النقد**) أنه النقد الشارح، أو النقد الفوقي؛ لذا فهو أوسع وأشمل من مجرد النقد. وهناك عدة مسميات تستعمل لهذا المعنى مثل "اللغة الواصفة" أو "اللغة الحاوية" أو لغة اللغة أو كتابة الكتابة[١٩]، ولكن المصطلح الأكثر استخدامًا هو "نقد النقد".

ومن أهم رواد (**نقد النقد**) في العالم الحديث الناقد الفرنسي "**تودروف**" صاحب كتاب (**نقد النقد**) الذي قام فيه بنقد كثير من النظريات النقدية والمؤرخين، والنقاد، وتعرض أيضًا لنقد المناضلين السياسيين[٢٠].

ويطرح الناقد "**عبد الملك مرتاض**" تساؤلًا مهمًا مضمونه: هل نقد النقد يجب أن يخالف النقاد المنقودين؟ وأجاب عن هذا التساؤل: بأنه لا ينبغي لناقد النقد أن يخالف النقاد، فنقد النقد يكون إضاءةً لأفكار النقاد، وتقويم لأي اعوجاج في دراساتهم النقدية "ليس بالضرورة أن يكون من أجل المعارضة والمناوأة، ولكن من أجل إلقاء المزيد من الضياء على أصول المذهب النقدي، وتبيان أصوله المعرفية، وتوضيح الخلفيات التي تستمد منها مرجعياته: على المستويين المعرفي والمنهجي جميعًا".[٢١]

وهنا تكمن أهمية نقد النقد في:

-الكشف عن نقاط القوة والضعف في الممارسة النقدية، على عكس النقد الذي كان يركز على جوانب الضعف.

-إيجاد حركة نقدية جدلية ما بين الناقد الأول للعمل الأدبي، والناقد الثاني للممارسة النقدية.

---

[١٧]– جاسم محمد: *نقد النقد أم الميتا نقد*، (مارس ٢٠٠٩م)، ص ١١٩.

[١٨]– جابر عصفور: *قراءة التراث النقدي*، (١٩٩٤م)، ص٨٨، ٨٩.

[١٩]– مصطلح اللغة الواصفة ومصطلح اللغة الحاوية من اقتراح الناقد عبد الملك مرتاض، انظر عبد الملك مرتاض: *في نظرية النقد*، (٢٠١٠م)، ص ٢٢٢.

[٢٠]– مرتاض: *في نظرية النقد*، (٢٠١٠م)، ص ٢٤٩. تدور فصول كتاب تودروف حول مناقشة اللغة الشعرية عند الشكلانيين الروس، وبعض النقاد مثل سارتر، وبلانشو، وبارت... وغيرهم. انظر تودروف: *نقد النقد رواية تعلم*، (١٩٨٦م)، ص ١٦٤.

[٢١]- مرتاض: *في نظرية النقد*، (٢٠١٠م)، ص ٢٢٧.

ولأن النص الذي نقدمه على درجة عالية من الوعي بأدوات النقد ومصطلحاته ومفهوماته، فقد وافق عملية إنتاج نص نقدي عند د. مصطفى ناصف إبداعًا جديدًا؛ فوجد البحث نفسه بين نصين كبيرين على درجة كبيرة من الوعي. فحاول التسلح بأدوات الناقد المعرفية السابق ذكرها، وتلمس الطريق في حضرة النصين بإيجاز شديد دون إطالة.

حدود البحث:

أقصد بالمنهج هنا "مجموعة متناسقة من الخطوات الإجرائية المناسبة لدراسة الموضوع، تعتمد على أسس نظرية ملائمة وغير متناقضة معها؛ إذ التناسب والتناسق لابد أن يتم بين جوانب ثلاثة: الأصول النظرية للمنهج، وأدواته الإجرائية، والموضوع المدروس، ... ولابد لهذه الأدوات أن تكون متلائمة مع الأصول النظرية للمنهج"[٢٢]. وسأقوم في قراءة كتاب (النقد الأدبي نحو نظرية ثانية) بتحديد لأمور ثلاثة، هي:

أولًا: المرجعية الفكرية لدى الناقد.

ثانيًا: الأدوات الإجرائية التي اعتمد عليها.

ثالثًا: الصياغة التعبيرية التي تؤسس لمنهجه النقدي.

بغية الوصول لمعرفة مضيئة مفادها تحديد أوجه النظرية التي أسسها الدكتور مصطفى ناصف في كتابه.

الدراسات السابقة:

حظيت كتب ناصف عامة على مكانة عالية في النطاق المعرفي والنقدي، واحتل كتاب (النقد العربي نحو نظرية ثانية) مكانة خاصة بين الدراسات النقدية، ومن أهم الدراسات التي اعتمدت الكتاب دراسة لها:

-البلاغة العربية من منظور النقد الحديث من خلال-النقد العربي نحو نظرية ثانية- لمصطفى ناصف للطالبة/أسماء معمري[٢٣]، وجاءت الدراسة في مقدمة ومدخل وفصلين، وفرقت في مدخلها بين النقد العربي القديم، والحديث، والمعاصر، ثم جاء الفصل الأول بتقديم بيوغرافيا لمؤلفات ناصف، وعرضت لمنهج الكتاب، وكذلك أهم القضايا المتضمنة فيه، وجاء الفصل الثاني لعرض بعض فصول الكتاب. وقدمت الدراسة عرضًا وافيًا لأجزاء الكتاب، ولكنها افتقرت إلى تقديم الأسس النقدية التي قام عليها فكر ناصف؛ لذا فقد أفادت الدراسة منها، وأكملت ما فيها من نقص بتقديم قراءة واعية لفكر ناصف في الكتاب.

---

[٢٢]- البحراوي: البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، (١٩٩٣م) ، ص١١١.

[٢٣]- أسماء معمري: البلاغة العربية من منظور النقد الحديث من خلال-النقد العربي نحو نظرية ثانية-لمصطفى ناصف، إشراف الأستاذة/ كوثر ثامن، الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي، جامعة العربي بن مهيدي- أو البواقي-، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم اللغة العربية والأدب العربي، (مذكرة مكملة لنيل درجة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي مسار: نقد أدبي حديث ومناهجه)، ٢٠١٤/ ٢٠١٥.

-**التراث البلاغي والبحث اللساني المعاصر مقاربة لسانية للدكتورة/ دنيا باقل**[٢٤]، تحدث في فقرة منها عن رؤية ناصف المعاصرة في تناول موضوعات البلاغة العربية بتعدد القراءات، وتمهيد الطريق لتعددية الرؤية للفهم لا القطيعة مع التراث. وقد حاول البحث الإفادة من تلك الدراسات.

أولًا: المرجعية الفكرية لدى الناقد

إن المتتبع للحركة النقدية المعاصرة في البيئة العربية المعاصرة "يجد شبه إجماع لدى أهل الذكر من النقاد على ما يعانيه الخطاب النقدي من أزمات أزمة التأسيس لكسب شرعية الوجود، وأزمة في المنهج الذي يترجم هذه الشرعية، وأزمة في المصطلح باعتباره المفتاح الرئيس لبوابة العلوم".[٢٥]

ساعدت إحاطة الحركة النقدية بتلك الأزمات التي تتعلق بالمنهج، والترجمة والمصطلح، والتخلي عن المذهبية في مواجهة المناهج النقدية الحديثة في ظهور اتجاهات متباينة:

الأول: اتجاه يدافع عن الحداثة النقدية الغربية، بالدعوة إلى ضرورة الاستفادة من كل ما هو مستجد في الساحة النقدية الغربية كما هو موجود عند كل من حميد لحمداني، وحسين الواد، وصلاح فضل ... وغيرهم.

الثاني: اتجاه يدعو إلى تأصيل النقد العربي، وعدم التسرع في الحكم سلبًا على تراثنا العربي القديم، كما هو موجود عند عبد العزيز حمودة في كتابه المرايا المقعرة والمرايا المحدبة.

الثالث: اتجاه وسطي يدافع عن التراث، ويوفق بين أدواته وآليات النقد الغربي كما هو موجود عند مصطفى ناصف في معظم كتاباته، وعبد الله الغذامي[٢٦].

وقد ساهمت هذه الاتجاهات في اتساع دائرة النقد الأدبي، ومهدت لظهور نشاطات ثقافية جديدة على اختلاف المنظومة الفكرية، وإذا تتبعنا الأيدلوجية الفكرية التي يتبعها الدكتور ناصف نجدها تتمحور فيما يلي:

يؤسس **مصطفى ناصف** للعلاقة بين الكاتب والجمهور، إذ يعمد في كتاباته النقدية إلى عدم الثقل، والانفتاح الثقافي على النص، ويوظف علاقة الكاتب بجمهور القراء بوصفه هدفًا من عملية الكتابة، ولكن لم يستطع أحد البوح بذلك حتى لا يتهم بالسطحية "لقد اعتبر وصف المشاعر عملًا مريبًا منذ وقت بعيد. ولوحظ العكوف على مسألة التنقيح، والصناعة، ونحت القوافي حتى لا يتعرض الشاعر بطريقة ساذجة لخطر الوصف السطحي، لقد لوحظ في نقدنا العربي المبكر الفرق بين ضبط المشاعر ومكافحتها وإرسال الشعور على سجيته فيسقط الشعر"[٢٧].

---

[٢٤]- دنيا باقل: التراث البلاغي والبحث اللساني المعاصر مقاربة لسانية، جامعة ابن خلدون، تيارت الجزائر، المجلد الرابع، العدد الثاني، أغسطس، ٢٠١٩، ص ٢٥.

[٢٥]- بارة: إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، (٢٠٠٥م)، ص ٥.

[٢٦]- حمداوي: مناهج النقد العربي الحديث، (٢٠١٠م)، ص ٢١وما بعدها.

[٢٧]- ناصف: اللغة والتفسير والتواصل، (يناير ١٩٩٥م)، ص٢٠.

كما يحاول **ناصف** إقامة نظام من التأملات التي تكشف العلاقة بين اللغة والتفسير والتواصل، كون التواصل أحد أهم المحركات في العملية الإنتاجية للنص، والهدف الذي يرنو إليه الكاتب، ولكنه لا يخلو من وجود بعض الثغرات "إن ثغرات التواصل في عالمنا العربي هي بعبارة واضحة أهم ملامح حياتنا الثقافية. ولن تتضح عقولنا اتضاحًا كافيًا مثمرًا بمعزل عن التأمل الجاد في عمق الكلمات التي نستخدمها وبخاصة ما يسمى باسم الكلمات...إن كل عناية باللغة بعيدة عن التفسير والتواصل لابد أن تكون في موضع ريب".[٢٨]

ثانيًا: *الأدوات الإجرائية*

يعتمد **دكتور مصطفى ناصف** على مجموعة من **الأدوات الإجرائية** التي يبني عليها نظريته النقدية، وأول هذه الأدوات الإجرائية التي اعتمدها الافتراض، ثم التساؤل المستمر بغية إزالة الحواجز بينه وبين النص، وإقامة دائرة حوارية أوسع تفي بغرض الانفتاح بمفهومه الأوسع.

ويؤصل **دكتور مصطفى ناصف** لحدود الانفتاح الدلالي للمصطلح كون اللغة ملمحًا من ملامح السياق الاجتماعي والحضاري، وهو ما عبر عنه العالم الألسني **جون فيرث** فيما يرتبط بمضمون محيط الكلام The context of situation. "فالانفتاح الدلالي يمنح مشروعية تعدد القراءات من جهة، ويخلص ذات القارئ المكبلة بقيود القراءة الأحادية من جهة أخرى".[٢٩]

وكذلك توضح **سيزا قاسم** خصوصية النصوص الأدبية بوصفها تنتظم تنظيمًا توليديًا؛ فالطاقة الدلالية الكامنة في النص هي المحركة لهذا الشحن التوليدي الذي يؤدي إلى فتح مجال الاحتمال الدلالي، وتوسيع مساحة التعبير اللغوي أمام القارئ ليتحرك في فضاء النص حركة كبيرة تتيح له إمكان الوقوف عند الدلالات غير المشبعة وبالتالي تُضاء للنص مفاهيمه الخفية.[٣٠]

[٢٨]- ناصف: اللغة والتفسير والتواصل، (يناير ١٩٩٥م، ص ٢٩٧.
[٢٩]- عدنان: حدود الانفتاح الدلالي في قراءة النص الأدبي، (يناير- مارس ٢٠٠٩م)، ص ١٠٠، ١٠١.
[٣٠]– قاسم: تولد النص وإشباع الدلالة، (القاهرة، ربيع ١٩٩٨م)، ص ٤٢

-يعتمد **ناصف** توصيف **هيدجر** للتأويل "لقد أسهم هيدجر في تحرير النظرة إلى إنسانية التأويل، وتنقيته من الاستبداد والتحكم، وإعطائه سمة التواضع والتعفف والإصغاء الخلاق... لقد أعطى هيدجر[٣١] للغة والتفسير "حرية" أو مغزى يتسامى على التحدد أو القيد المنطقي"[٣٢].

وهنا يختلف مفهوم التأويل ويتسع ويتخذ جانبًا أخلاقيًا وظيفيًا عند **دكتور ناصف** سمته العامة التحرير والتفسير بقصد الوصول لكنه الحقيقة الكامنة وراء المعاني الباطنية للنص.

إن "**المغامرة والحدس والسؤال المستمر**" هي أدوات **الدكتور ناصف** في رحلته المعرفية نحو حقيقة النص، وكنه الكلمة، وفلسفة العبارة ليشق بدراسته طريقًا غير طريق الآخرين مختلفًا في الكم والكيف، مصطحبًا صديقه القارئ في جولة معرفية طويلة عبر النصوص الأدبية والبلاغية.

والحقيقة إن كلام دكتور ناصف عن التأويل في سياق التجربة والحدس، والسؤال يشير إلى الظاهراتية في علاقتها بالوعي وفق مقولة هوسرل الشهيرة: "كل وعي هو وعي بشيء ما"

فيسعى الكتاب إلى توضيح العلاقة بين النقد والثقافة، وهي إحدى العلامات التي توضح جوانب من القلق الجماعي الكامن في الأمثلة والمصطلحات، يقول في مقدمة الكتاب: "والكتاب الذي بين يديك يشق طريقًا يتميز إلى حد كبير من سواه. إنه مشحون بطائفة من الاقتراحات الثائرة، وأحب أن أزعم أن هذه الاقتراحات تستحق المعاناة، وصبر التأمل. كنت وما زلت أحلم بأن تشق الدراسات الأدبية طريقًا غير الطريق. وكنت أجمح فيخيل إلى أننا نتحدث أحيانًا فيما لا ينفعنا، ونسكت عما ينفعنا. أريد أن أكون صديقًا للقارئ"[٣٣]، كما يرسم العلاقة بين الكاتب والقارئ، **ويحدد ملامحها بالعناصر الآتية:**

أولا: التجاوب مع الأفكار الجديدة بالاستقبال والاتساع.

ثانيًا: عدم إعطاء أحكام جزئية على الكتاب.

ثالثًا: عملية القراءة عملية تامة لا يمكن إعطاء ثمارها إلا باكتمال القراءة.

---

[٣١]– يعد "هيدجر" من أبرز الفلاسفة المؤسسين للفلسفة التأويلية المعاصرة، وهو يعتمد فهم النصوص شكل من أشكال الوجود في العالم، واهتم بتأويل النصوص خاصة النصوص القديمة؛ ليكشف جوانبها الغامضة والخفية، وكذلك العودة إلى الجوانب الباطنية التي دفعت المؤلف إلى كتابة النص أي فهم ذاتية المؤلف. ويبحث في تأويل العمل الفني انطلاقًا من فهم أصله ومصدره وأسلوبه في الوجود، فالعمل الفني ليس متعاليًا عن الوجود أو منفصلًا عنه، إنما هو مرتبط به بطريقة نعبر من خلاله عن الموجود الإنساني. "إن مصطلح الهرمنيوطيقا لا يؤخذ بمعناه المعاصر، وليس بمعنى مذهب التأويل خاصة كما نفهمه اليوم بشكل واسع. إنه يعني، من خلال ربطه بدلالته الأصلية، وحدة محددة لاستكمال التواصل والتبليغ. انظر: هيدجر الأنطولوجيا هرمينوطيقا الواقعانية، (٢٠١٥م)، ص ٤٨.

[٣٢]– ناصف: اللغة والتفسير والتواصل، ص ١٨٧.

[٣٣]– ناصف: النقد العربي محو نظرية ثانية، (٢٠٠٠م)، ص٧.

رابعًا: إعطاء رؤية عامة للمضمون المقترح فكل نقطة تسلم لما بعدها.

وهذا التفاعل مع القارئ يجعل منه شريكًا للكاتب في عملية الإبداع وفق نظرية التلقي التي ردت الاعتبار للمتلقي بعد ما أغفلته المناهج السياقية والنسقية. والموقف النفسي للمتلقي بناء على نظرية التلقي "لا يقل أهمية وتأثيرًا في مجال الحكم على النص عن الموقف الذي يصدر عنه الأديب شاعرًا أو كاتبًا أو خطيبًا"[٣٤].

لم تأخذ الإحالة عنده وضعًا كبيرًا "والواقع أن ما يسمى الاهتمام بشؤون التوثيق لا يزيد أحيانًا على كونه مجموعة من حواش على النقد الجديد ومشكلاته. لقد خيل إلى بعض الباحثين أن هذا النقد أهمل في زحام العناية بالالتباس وتنوع التفسير فكرة السلطة أو النظام أو الثبات ... وقد حان الوقت في منطق هيرش لكي نهتم بنوع من الحكم الذي لا يضيع وسط حرية متزايدة. وربما كانت فكرة القانون نفسها متغيرة المعنى في النقد الجديد. أو كانت استجابة معينة لبعض المطالب الثقافية التي تغير النظر إليها"[٣٥].

كذلك اعتمد **دكتور ناصف** مجموعة من المصادر في الأدب والبلاغة منها: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة. وهو في قراءته للنصوص القديمة والحديثة يعتمد معايشة النص معايشة عصرية لا تعتمد المناهج الشكلية بالكامل ولا ترفضها أيضًا، وإنما تضع بصمة في الكتابة النقدية تجعل الناقد والقارئ على جسر التواصل الدائم مع النص.

ومن العتبة الأولى للكتاب يظهر أننا أمام منجز نقدي جديد في أبعاده وإشكالياته النقدية العربية؛ إذ توحي **(نحو نظرية ثانية)** بإبداء وجهة نظر المؤلف إلى نظرية أخرى فيها مغايرة للنظرية الأولى، لا عن طريق النفي التام، وإنما عن طريق الإيضاح والتأويل. وهو ما نراه جليًا في عتبات الكتاب المتعددة الذي يتكون من خمسة عشر فصلًا. **يحمل كل فصل عنوانًا مستقلًا**، وهي كالآتي:

١- المصطلح النقدي

٢- النحو والسلطة

٣- التأليف بين المتابينات

٤- الكلمات بين التغير والثبات

٥- النقد العربي ومعجز أحمد

٦- الدور الوظيفي للمغايرة

٧- البحث عن أسطورة الجماعة

---

[٣٤]- عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي (دراسة مقارنة)، (١٩٩٦م)، ص ٩٤.

[٣٥]- ناصف: اللغة والتفسير والتواصل، (١٩٩٥م)، ص ١٨٩.

٨- الكلمة الغائبة

٩- عالم الاستعارة

١٠- المغزى الثقافي للأسلوب

١١- أكثر من بلاغة

١٢- نظام الشعر

١٣- الإحساس الأخلاقي

١٤- قوة الكلمة

١٥- الحوار الداخلي

وبعد القراءة المتأينة لكل فصل نرى أن **الدكتور ناصف** يعتمد البلاغة العربية متمثلة في كتابي **عبد القاهر الجرجاني:(أسرار البلاغة)**، و**(دلائل الإعجاز)** أساسًا للنقد العربي، ويوجه اقتراحاته وتأويلاته (لنظرية نقدية ثانية) حديثة في الوقت والمعايير عن النظرية الأولى. أساسها عدة مفردات منها الشك، والوصف، والتقبل، والرفض، والاستسلام، والسلطة، والمرونة، والظاهر، والباطن، والغموض، والتحرر...إلخ، ويصف **دكتور ناصف** بهذه المفردات إحساسه بالكلمات والبلاغة والنحو والعربية. ذلك الإحساس الذي يبلغ الشيء ونقيضه بهدف الوصول للحقيقة وصولًا جديدًا نوعيًا.

والنقد العربي عنده "بحث في النماذج الأولية للعقل النماذج التي أهمتنا في أعماقنا دون أن نعيها وعيًا كافيًا، وقد عبر عنها المؤلف بطريقة تجريبية من خلال كلمات مثل: السلطة والعلاقة بين الوجه الأسطوري للاستدلال العقلي".[٣٦]

ثالثًا: القضايا النقدية التي يعرضها الكتاب

يستهل **الفصل الأول بعنوان (المصطلح النقدي)**، ويحاول التأكيد على أهمية قراءة المصطلح قراءة مغايرة لا تنأى عن الشعر والثقافة العربية بصفة عامة؛ فيقول: "نحن محتاجون إلى قراءة ثانية لا تعتمد على ربط بعض البوارق بما استحدث بطريقة عشوائية تعفي على جوهر النقد العربي، ومكانته في ثقافتنا"[٣٧].

ويُفصح عن مفهوم النظرية من وجهة نظره بقوله: "النظرية التي أتقرب إليها لا تتحرى فكرة المتعة الشخصية بالأسلوب، ولا تستعبدها فكرة الجمال، ولا يستهويها التقارب أو المصالحة بين النقد العربي وآراء فلان وفلان من أهل الغرب، النظرية ليست تقاس بما نسميه "الأدبية" المغلقة. آن الأوان لتجاوز الأدبية في

[٣٦]- ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، (٢٠٠٠م)، ص ٢٧٩.

[٣٧]- السابق نفسه، ص ٢٧٩.

سبيل ربط النقد الأدبي واحتياجات الجماعة. مهمة النظرية -كما أتصورها- توضيح الأثقال والتبعات التي يمكن استنباطها من النصوص النقدية"[٣٨].

بعد ذلك، يشرح صفة النظرية، قائلًا: "النظرية مناطها إظهار القلق الذي نرى ملامحه متوافرة. وليس في ذلك تكلف، فقد شعر أهل النقد العربي منذ وقت مبكر بازدواجية موقفنا من اللغة... وأنا أبحث عن نظرية قوامها الخيال والشعر والحلم والأمنية والعقبة، والأسطورة، والتدافع الحي. وبعبارة أخرى يجب ألا يشغلنا التنويه بصرامة النظام عن حيوية التجربة وإشكالها. أنا أتناول النقد العربي من حيث هو تجربة، وما ينبغي أن نذكره أن كلمة التجربة هي نفسها نشاط وفتوة وقلق"[٣٩].

فهو لا يُقعِّد لنظرية ثانية لها إجراءات وتقعيدات؛ وإنما محاورات كثيرة تنقل القديم إلى الحديث بالسريان التلقائي؛ لأن القديم صورة القديم وأحد أهم أشكاله الأولى.

ويأتي **الفصل الثاني بعنوان (النحو والسلطة)**، وهو ما يدفع القارئ للبحث عن مفهوم السلطة في الكتاب، فنراه يعرف النحو بأنه السلطة نفسها: "النحو سلطة بمعنى آخر، لأنه يحمي اللغة من عنف التطور، ويصور في الوقت نفسه عبقرية العربية. وعبقرية العربية لا تخلو من معنى أخلاقي ونفسي وروحي"[٤٠].

وبذلك تكمن قيمة النحو الحقيقية في أنه سر صناعة العربية "الذي يساعد اللغة على تخطي كل الصعاب وصولًا إلى عملية الإبداع. لقد أصبح النحو في كثير من مباحثه يستهدف تحليل علاقة الألفاظ المستقلة بالمعاني، ثم يستهدف تبعًا لذلك طبيعة الوحدات الكلية وعلاقاتها التجاورية التي يبدعها النحو أو لنقل إنها هي التي تبدع النحو الخاص بها[٤١]؛ لذا كان اهتمام **عبد القاهر الجرجاني** بالنحو كونه ضربًا من التركيب اللغوي ثم دراسة تركيب الجملة أو النظم كما يسميه.

وتختلف مقصدية النقد عند **الدكتور ناصف**، فهو بحث في بنية النفس العربية وعلاماتها المختلفة والمتباينة؛ فعملية النقد العربي عنده: "إن النقد العربي، كما سنقول فيما يلي، بحث في بنية النفس العربية وعلاماتها، علامات السيطرة والطلاقة الكامنة المدهشة التي تلبس بالتوقف والتوتر والانبساط القابض. هذه ملامح من فكرة السلطة كما تصورتها في مباحث معاني النحو بعامة ومباحث دلائل الإعجاز بوجه خاص".[٤٢]

يتبين من مفهوم السلطة في الكتاب قوة النحو التي يمارسها على الكلمات بوصفه سلطة خاصة تمسك بزمام الأمور، ويستشهد بقول مجنون ليلى:

---

[٣٨]– ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، (٢٠٠٠م)، ص ١٨.

[٣٩]– السابق نفسه، ص ١٨.

[٤٠]– السابق نفسه، ص ٢٣.

[٤١]–عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، (١٩٩٤م)، ص ٤٢-٤٣.

[٤٢]- ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، ص ٣٧.

فَأَصبَحتُ مِن لَيلى الغَداةَ كَقابِضٍ عَلى الماءِ خانَتهُ فُروجُ الأَصابِعِ[٤٣]

وأعتقد أن المعنى الذي يريد إيصاله للقارئ هو تحرر الكلمة من تلك السلطة؛ لأن فلسفة الكلمة موصولة بالإحساس التاريخي العريق. فحال الشاعر مع صاحبته ليلى هي حال من كلما دنا منها بعدت عنه، أو حال من كلكا أوشك أن يظفر بها أفلتت منه.

ويستهل **الفصل الثالث بعنوان (التآليف بين المتباينات)** بدعوى التأليف بين المتناقضات بغرض (الأريحية)، ورصد العلاقات المتباينة بين البلاغة، وحركات المجتمع المتطورة والمتغيرة.

وفي سبيل توضيح دنيا الاغتراب التي تتمتع بها الثقافة العربية ويعيشها النقد العربي يذكر بعض التشبيهات الغريبة "ألا ترى اللازوردية التي تزهو بين الرياض كيف اجتمعت مع أوائل النار في أطراف كبريت..." وبهذا التساؤل المستفز للعقل الذي يسلم للصور البلاغية يوجه **الدكتور ناصف** العقل للمتباينات في التشبيه وأوجه التشبيه. يقول ابن الرومي في البنفسج:

ولازَوَرْدِيَّةٍ تزهُو بزُرْقَتِهَا وسطَ الرياض على حُمْرِ اليواقيتِ

كأَنَّها وضِعافُ القُضْب تحملها أوائلُ النَّار في أطرافِ كِبْريتِ [٤٤]

وبالطبع هو لا ينظر إلى المعاني السطحية للكلمات، وإنما يجد لها عوالم داخلية متناثرة يمكن جمع شتاتها "لقد شغلنا بالأشياء وشغلنا بالتشابه عن الروح الخيالية الكبرى التي تسري في الأشياء نفسها حتى تشتاق إلى أن تكون كلمات البنفسج أو اللازورد يكبر حتى يكون كلمة، الخبرة بالكلمات لا شك تتأثر بنوع الفلسفة. طورًا تكون في يد اتجاه مادي وطورًا تكون في يد اتجاه مثالي أو عقلي، وطورًا تكون تعبيرًا عن التقاء المادي والعقلي. لكل خبرته الخاصة بالكلمات لا شك تتأثر بنوع الفلسفة".[٤٥]

والفلسفة التي يراها **الدكتور ناصف** فلسفة خاصة تحكم قانون الكون؛ فهى تحدد علاقة أرواح الكون، بعض الأرواح كالنار، وبعض الأرواح كالأحجار، وبعض الأرواح كالمعادن الصفراء شديدة النقاء.

وفكرة التشابه لا تكون دليلًا مؤكدًا عنده؛ إذ التشابه لا يمثل خبرة قوية بالحياة أو الكلمات "قل إن التشابه يعني التشدد في مذهب الدلالة الثابتة والمقايسة وبقاء كل شيء على حاله". كذلك تشبيههم "النيلوفر الندي غريب، ودبابيس عسجد قضبها من زبرجد غريب"[٤٦]

هذه نماذج متفرقة يذكرها **ناصف** في كتابه تحت مبدأ البعد والقرب في الصورة أو (غرائب تحن إلى غرائب) على حد تعبيره.

---

[٤٣]- البيت للشاعر الأموي "قيس بن الملوح"، وهو من بحر الطويل، انظر الموسوعة الشعرية، دائرة الثقافة والسياحة، أبو ظبي، ١٩٩٨م.

[٤٤]- الأبيات لابن الرومي من بحر البسيط، انظر: الموسوعة الشعرية.

[٤٥] - ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، ص ١٣٩.

[٤٦]- السابق نفسه، ص ٤٩.

هكذا يصل إلى توضيح الهدف الأسمى من هذا الفصل، وهو التأليف بين المتباينات؛ بقوله: "لقد سميت النماذج الأولية باسم خاص هو الطبع أو الاضطرار أو المحسوس أو العيان، وسمي حوار النماذج الأصلية والاستنباط باسم التأليف بين المتباينات. ولابد لنا من هذا التأليف إذا أردنا التماسك. لابد بعبارة أخرى، من حوار دائم بين محسوس أو علم قديم، ومعقول أو علم حديث. ولكننا فهمنا النقد العربي فهمًا لا يشرف أحدًا".[٤٧]

فالحوار هو السدنة التي تربط بين النقد القديم (الطبع/ المحسوس)، والحديث(المعقول). وحتى لا تغيب قوة النقد الحقيقية يجب إعمال الحوار المتفاعل بين المصطلحات الأولية للنقد، والعلم الحديث لنصل إلى نظرية نقدية جديدة قوامها التأليف بين المتباينات.

إذًا فالتأليف بين المتباينات - من وجهة نظره - هو التخلص من مبدأ الدلالة الثابتة، ومفهوم الاغتراب الذي يحاول معالجة الوحدة المفقودة بين البلاغة بوصفها نقد قديم والنقد الحديث.

ويدعو **ناصف** إلى قراءة ثانية تتحرى ما هو أبعد من الوصف والتشبيه، تتحرى الصراع الاجتماعي وصعوبة التركيب بين المتناقضات بمعالجته لبعض القضايا التي وجدت في كتاب **عبد القاهر الجرجاني** فتنأى عن كون قوام التشبيه المزج بين اختيار(**أ**) و(**ب**)عبثًا.

ويأتي **الفصل الرابع بعنوان (الكلمات بين التغير والثبات)** لتحرير الكلمات من سجن ثقافتها الأولى أو أصولها الأولى كما يقول **الدكتور ناصف** - ويقصد تمسكها بالبداوة - فيكون للحوار دور اجتماعي جديد يسمح بالتقبل والأريحية "مادام اعتزازنا بما نملك لا يحوجنا إلى هذا الحوار فعكفنا من أجل ذلك على ما يشبه عبادة الكلمات أحيانا".[٤٨]

وهنا يربط بين الكلمة والحياة من الناحية الوظيفية؛ إذ الكلمة تتطور وفق تطور المجتمعات وهو ما يؤكده **الدكتور عبد المنعم تليمة**: "إن ما هو (جمالي)؛ إنما يتحدد في مصدره وتطوره بما هو اجتماعي، كما يتحدد في ماهيته ومهمته بذلك الاجتماعي. وعلى هذا فإن النوع ينشأ ويتطور ويتعدل.. إلخ وفقًا لحاجات اجتماعية لدى البشر"[٤٩].

إن تطور الكلمة من البادية إلى الحاضرة مثل النوع الأدبي كلاهما يتأثر بتطور المجتمع وحاجاته الروحية والفكرية والجمالية.

يرى **الدكتور ناصف** أن استعمالات الكلمة المتعددة يخضع لمبدأ التحليل الثقافي؛ مما يساعد على عملية التأليف بين العناصر التي تبدو متناقضة "الاتجاه إلى نظام تنوع الدلالات هو في حقيقته استعداد للتكيف مع المتغيرات الداخلية والخارجية"[٥٠]. **ويحدد لهذا المنهج نظامًا خاصًا تحكمه عدة إجراءات:**

---

[٤٧]– ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، ص ٤٩.

[٤٨]– السابق نفسه، ص ٤١.

[٤٩]– تليمة: مداخل إلى علم الجمال الأدبي ومقدمة في نظرية الأدب، (٢٠١٣م)، ص ٢٦٥.

[٥٠]– ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، (٢٠٠٠م)، ص ٨٠.

١- يعد التحليل الثقافي وفق المفهوم السابق استيعابًا نقديًا لفكرة الآخر بمدارسه وتياراته.

٢- تؤثر الكلمات بوصفها شبكة معقدة للقيم في السلوك الاجتماعي والسياسي العام.

٣- ظل التفسير ورؤيته للكلمة القرآنية مبدأ كبيرا للحوار لتجنب الصدام المسموع بين الكلمات.

٤- كان البحث في النص وإشاراته ولوازمه القريبة والبعيدة نهج الأجداد بالحوار، ونظم استعمال الكلمات[٥١].

أما **الفصل الخامس، فعنوانه (النقد العربي ومعجز أحمد)** ويتحدث فيه عما يسميه العلماء بمصطلح (المشابهة) وهي تعني عكوف الكثيرين على شرح لأحد الشعراء مثلا، وهو ما وجدناه مع المتنبي، فقد "عكف شراح كثيرون على شعر أبي الطيب من أمثال الواحدي والعبكري وأبي العلاء ولأمر ما سمى أبو العلاء شرح أبي الطيب باسم معجز أحمد".[٥٢]

ويرى **الدكتور ناصف** أن الباحثين أخطأوا حين لخصوا عبد القاهر تلخيصًا سيئًا، ويذكر أبيات لأبي الطيب المتنبي تكشف مفهوم **الدكتور ناصف** عن (ظاهر النص وباطنه). يقول المتنبي:

إِنَّما بَدرُ بنُ عَمّارٍ سَحابُ هَطِلٌ فيهِ ثَوابٌ وَعِقابُ

إِنَّما بَدرٌ رَزايا وَعَطايا وَمَنايا وَطِعانٌ وَضِرابُ

ما يُجيلُ الطَرفَ إِلّا حَمِدَتهُ جُهدَها الأَيدي وَذَمَّتهُ الرِقابُ

ما بِهِ قَتلُ أَعاديهِ وَلَكِن يَتَّقي إِخلافَ ما تَرجو الذِئابُ

فَلَهُ هَيبَةُ مَن لا يُتَرَجّى وَلَهُ جودُ مُرَجّىً لا يُهابُ[٥٣]

ويظهر من خلال الأبيات السابقة ظاهريًا اجتماع الثواب والعقاب، فالسياق ظاهره التمييز بين البأس والجود، وباطنه بحث عن المعجز فيما قاله **الشاعر أبو العلاء،** لا علاقة له ببدر أو غيره من البشر.

فالمعجز هو المنازعة الخفية التي لا تؤتى بطريق المقايسة الصماء، وإنما تؤتى بطريق الوثبات. وهي الرموز التي يدرك **أبو الطيب** مراميها فالمعجز في عبارة **أبي العلاء** "هو هذا الهيام العجيب في عالم لا يخلو من تصوف. أين هذا كله من طول الإلحاح على وصف أو بطاقة مبتسرة أدل ما تكون على أن ما يصنعه الشعراء وما يصنعه النقاد العظام ليس آخر الأمر جَدا أو مرامًا بعيدًا، ومعاناة قاسية ذكية الروح"[٥٤]

---

[٥١]- ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، (٢٠٠٠م)، ص ٨٢،٨١.
[٥٢]- السابق نفسه، ص ٨٤-٨٥.
[٥٣]- الأبيات من بحر الرمل، انظر الموسوعة الشعرية.
[٥٤]– ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، (٢٠٠٠)، ص ٨٨.

ويستدعي **الدكتور ناصف** الكثير من الشواهد البلاغية من أقوال **أبي العلاء، والمتنبي، وابن خلدون** ليصل إلى أن الذي نسميه تشبيهًا هو أقرب إلى تحريك وجيعة لا تذلل تمامًا، وهو قول **عبد القاهر** حين قال: مؤتلفات بين مختلفات. يعني بذلك أن "إسهام علاقة معينة في تحريك "مشكل" ينبغي أن ينال عنايتنا. ليس للمشكل وجه واحد، إنه ذو وجوه سبعة إن صح هذا التعبير"[٥٥].

وينتقل إلى **الفصل السادس** الذي يأتي **بعنوان (الدور الوظيفي للمغايرة)**، وفيه يتحدث عن الدور الوظيفي للمغايرة من الوجهة البلاغية، والمغايرة عنده تعني: إعادة قراءة البلاغة متمثلة في كتابي **عبد القاهر الجرجاني: (أساس البلاغة) و(دلائل الإعجاز)**، لأن فهم البلاغة لا يكون إلا بتلك القراءة الثانية. فنحن الآن وفق كل المتغيرات التي نعيشها نمتلك أدواتًا إجرائية جديدة ومغايرة.

ويستنكر **الدكتور ناصف** شرَّاح **عبد القاهر**؛ لأننا بحاجة إلى مشاركة البلاغة بطريقتها الخاصة في إدراك التحولات الجذرية في عقولنا وعواطفنا؛ إذ يقول "إن شراح عبد القاهر حولوا نتاجه إلى طائفة من الحلول النهائية والمواقف الحاسمة. كان هذا ظلمًا أو تعجلًا. كيف نخدم أنفسنا إذا زعمنا أن الكلمات ثابتة؟ إننا حين طرقنا باب الاختلاف أردنا أن نحول عقولنا من اتجاه الإقناع والتخييل إلى اتجاه قوامه التأمل الحر أو الاستعمال الحر للكلمات".[٥٦]

ويأتي **الفصل السابع بعنوان (البحث عن أسطورة الجماعة)** وفيه يواصل **الدكتور ناصف** اعتماده المتناقضات، فيلزم القارئ معرفة كنه اللغة؛ بتصنيفه لها، **فلدينا ما يعرف بروح اللغة**، وهي:

١- لغة تعتمد ما يشبه المشي الوئيد المتردد.

٢- ولغة منطقية ساكنة.

٣- ولغة متطلعة متوثبة.

٤- ولغة ذات مسلك بطيء يعتز به بعض الفلاسفة.

٥- ولغة تتأبى على هذا السلوك اللغوي.

إن وهم الاستقرار في اللغة غير متواجد لأن الأطوار المختلفة لها أكبر من مستخدميها: "اللغة إذن في كل أطوارها تبحث عن شيء آبد بطرق مختلفة. الحكام يقهرون الناس، والمناطقة يخيفونهم، وكل ذي حرفة وصناعة. ولكن اللغة ليست أداة في أيدي الناس فحسب. اللغة أكبر منهم جميعًا. لأنها تبحث بطرق متفاوتة عن شيء كامن قوي مضطرب لا يثبت ولا يستريح".[٥٧]

---

[٥٥]– ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، (٢٠٠٠م)، ص ١١٥.

[٥٦]– السابق نفسه، ص ١٣٤.

[٥٧]– السابق نفسه، ص ١٢٩.

ينفي **الدكتور ناصف** العصمة عن كتاب **عبد القادر**؛ لأن شراحه حولوا نتاجه إلى مجموعة من الحلول النهائية والمواقف الحاسمة التي لا تتوافق مع مبدأ التأليف بين المتناقضات أو الاعتراف بالمسلمات. "كيف نخدم أنفسنا إذا زعمنا أن الكلمات ثابتة؟ إننا حين طرقنا باب الاختلاف أردنا أن نحول عقولنا من اتجاه الإقناع والتخييل إلى اتجاه قوامه التأمل الحر أو الاستعمال الحر للكلمات".[٥٨]

لا أقصد بتلك العصمة أن شجارًا وقع بين **كتابات عبد القاهر والدكتور ناصف**، وإنما أعني تحريك المصطلح؛ إذ لا يمكن أن يمر الوقت بلا جدوى ولا نقاش مع المصطلحات "ما أعنيه أن المصطلح النقدي يجب أن يفهم في إطار حوار مع هموم الثقافة العامة".[٥٩]

إن إقامة مبدأ الحوار بين القديم والحديث هو غاية ما يرمي إليه البحث في كتاب **عبد القاهر الجرجاني**؛ إذ المصطلح يفهم بمبدأ الصلاحية النسبية.

والفصل الثامن عنوانه (الكلمة الغائبة)، وفيه يبين **الدكتور ناصف** أن للكلمة قوة رمزية تنفعل بكل اللغة وتؤثر فيها، وتحشد في ثناياها طاقة المجتمع، وتركزها وتسلط الضوء عليها.

ويتخذ كلمة الوشم مثلًا لما يحيط بها من بكاء ما، وكتابة ما، أو خلق ما. يقول: "اقرأ الشعر العباسي المتنوع في أسرار البلاغة فستراه خصمًا لكلمات قديمة مثل الوشم والبكاء. كان البكاء القديم قوة وصبرًا، وكان الضحك الحديث في الشعر يحمل نبرة العجز والريب. الكلمة القديمة تبحث عن النصر والفتح الغامض، ولكن الكلمة الحديثة. إن صح التعبير أروع في باب الإشكال. لقد جعلت هزيمة النفس إشكالًا. كانت الكلمة قوة تخدم الحياة، لكن الكلمة في البلاغة المتأخرة حمالة مفارقات. لننظر إلى الكلمة نظرة جادة. ولننظر إلى العلاقة بين الكلمات في ضوء حاسة تاريخية"[٦٠].

يرى **الدكتور ناصف** أن مفاهيم **عبد القاهر الجرجاني** الموجودة في التراث أقرب إلى التراث والحداثة عند العناية بالتخييل القائم على التعليل "هل كان اختفاء كلمة الوشم القديم من الشعر الذي احتفى به كتاب أسرار البلاغة تعبيرًا عن صعوبة تمثل المواثيق التي ينبغي أن يتعارف عليها المجتمع؛ لأنها تخدم مشاعر وأفكار فوق الفرد وفوق المتعة والظرف والتخييل."[٦١]

فيهدف هذا الفصل إلى البحث عن الكلمات الغائبة التي تناوش الكلمات الحاضرة من أجل تحرير النفس؛ عن طريق التأمل العميق في رموز الكلمات ودلالتها.

ويأتي **الفصل التاسع (عالم الاستعارة)** ليوضح فيه **ناصف** أن الاستعارة تحمل تفصيلات ومميزات كثيرة تنأى عن السطحية أو المستوى الظاهري؛ لذا ينبغي النظر بعمق لمفهوم الاستعارة "ارتاب النقاد في طرق

---

[٥٨]– ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، (٢٠٠٠م)، ص ١٣٤.

[٥٩]– السابق نفسه، ص١٧١.

[٦٠]– السابق نفسه، ص ١٧٤.

[٦١] – السابق نفسه، ص ١٧٣.

تبسيط الاستعارة. وجادلوا أنفسهم في مبدئها. أحقا يكون مبدأ الاستعارة تشابهًا أو تناسبًا؟ لقد غلب على المتلقي الحديث للتراث النقدي هذا النحو من الفهم. ومعنى ذلك أن باب العمل النقدي القديم تعرض للإهمال. فقد لوحظ أكثر من مرة أن استخراج التناسب من التعبير الاستعاري أمر متصنع إلى حد كبير، وأنه أقرب إلى التبسيط والاختزال ورد المشكل إلى غير المشكل أو رد الصعب إلى السهل وفي هذا سرف غير قليل".[٦٢]

هكذا يربط بين مصطلحي الاستعارة والتخييل بقوله: "وفي وسط الإلحاح على التشابه نسينا مقومات كثيرة أخرى في النقد الأدبي أقرب إلى الإشادة بالعنف والمناوشة. مبحث الاستعارة لا يمكن تناوله داخليًا بمعزل عن مصطلح التخييل. وهو مصطلح أدل على الاعتراف بصعوبة الإثبات أو السخرية من يسر التأتي والحكم. لقد نسينا في معالجة الاستعارة في التراث. فكرة الاستشكال والتعجب والتساؤل، ولكننا مولعون بالتقاط كل العبارات الدالة على الشفافية.

وصف **ناصف** موقف النقاد من البلاغة والاستعارة كونها أحد الأبواب التي أُسيء فهمها من باب تجاهل المسافة بين الموقف النظري والقراءة العملية في بعض الظروف على الأقل؛ إذ أساء النقاد فهم فلسفة الاستعارة وخروجها من صفة التشبيه المجرد: "لقد أسيء تقدير الجدال حول العلاقة بين الاستعارة والتعبير الحرفي. أسيء تقدير الثغرة التي تصورها القدماء بين هذين الأسلوبين. لكننا زعمنا أن النقلة في النقد العربي القديم من العبارة الحرفية إلى العبارة المجازية"[٦٣].

وتأتي أهمية الاستعارة في إدخالها عناصر غير موجودة في النص الأصلي "تمتلك الاستعارة حسب ريتشارد إمكان ضم عدد من التجارب والمعاني والسياقات المتعددة بطريقة لا تتضافر بنفس الثراء في أنماط بلاغية أخرى. إنه يعطي لها قوة ويجعلها قادرة على الإيجاز وعلى تقديم العديد من المعاني بالقليل من الألفاظ. ولقد حظيت الاستعارة عبر العصور بقوة وجاذبية ميزتاها عن كثير من الأصناف البلاغية الأخرى".[٦٤]

وتلاحظ **سعاد أنقار** التقريب بين كتاب **ناصف** وفكر **ريتشارد** وتصوراته في هذا الفصل "لا تفوتنا الإشارة إلى التأثر الكبير الواضح الذي نلمسه في كتابات مصطفى ناصف خاصة كتابه "النقد العربي نحو نظرية ثانية، حيث نلحظ توجيه فكر ريتشارد وتصورات إلى مختلف فصول هذا المؤلف، حتى إن مصطفى ناصف يعنون بعض هذه الفصول بنفس العبارات التي نصادفها في كتاب فبسفة البلاغة إذ يطلق على فصوله عناوين: "قوة الكلمة و"الكلمات بين الثبات والتغير...وتبعًا لذلك نلقيه يحول عبد القاهر الجرجاني إلى بلاغي متقطن لقوة الكلمات ومستحضر معانيها وسياقاتها الغائبة".[٦٥]

ويأتي **الفصل العاشر بعنوان (المغزى الثقافي للأسلوب)**، وفيه يرى **ناصف** أن مرمى البحث الأسلوبي هو الإيماء إلى قوة باطنة موجهة. ويستحيل الأسلوب كله إلى معاونة الإمامة على أداء مهمة صعبة[٦٦].

---

[٦٢]- ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، (٢٠٠٠)، ص ١٩٤.
[٦٣]- السابق نفسه، ص١٩٦.
[٦٤]- أنقار: البلاغة والاستعارة ل. إ. أ ريتشارد: "فلسفة البلاغة"(يناير - مارس ٢٠٠٩م)، ص ١٨٤.
[٦٥]- السابق نفسه، ص ٢٠٣، ٢٠٤.
[٦٦]- ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، (٢٠٠٠)، ص ٢١١-٢١٣.

فالحقيقة أن البحث في كلمة الأسلوب يحتاج تمحيص أكبر في ضوء النحو أو النظم الخارجية، وهو ما عرفه **عبد القاهر الجرجاني** بالنظم: "فمنذ زمن مبكر ظهرت كلمة النظم التي تدل على البحث عن أسلوب عقلي دقيق يروض عقولنا ونُمونا".[٦٧]

ويربط **ناصف** بين الأسلوب والنحو مستشهدا بالبيت الذي وقف **عبد القاهر الجرجاني** أمامه: وهو قول الشاعر:

ولا إذ نبا دهر، وأنكر صاحب: وسُلِّطَ أعداء وغاب نصير

يبدو المستوى السطحي لأبحاث البلاغة جزئيًا بطيئًا، ولكن المستوى الأعمق للأسلوب كلي وثاب له السيادة والسيطرة الحقة، وتلك هي القوة الباطنة التي يقصدها **ناصف**.

ويأتي **الفصل الحادي عشر بعنوان (أكثر من بلاغة)** وفيه يدلل أن اللغة عالم عسير لا يسير كما يرى الجرجاني "أدرك الباحثون أن البلاغة نظام يتخلل أنظمة كثيرة، بعضها نفسي وبعضها خلقي وبعضها فلسفي وبعضها عملي"[٦٨]

وللبلاغة كما يرى **ناصف** مهمتان أساسيتان: **الأولى** تعنى بخدمة اللغة، و**الثانية** تعنى بمتعة اللغة: "أكثر الناس إذا ذكروا البلاغة ذكروا الإمتاع والإرضاء، أو ذكروا الاتباع والمخالفة. وهذا كله شيء ينسي حقيقة مهمة هي أن البلاغة في بعض ملامحها خدمة للغة بمعزل عن هذه الأغراض."[٦٩]

وكلمة البلاغة متنوعة المعاني، لأن الكلمة ترتبط بفكرة المقاصد "تشمل البلاغة فنونًا من المقاصد نسميها باسم الخطابة والثقافة العامة والشعر"[٧٠]؛ لذا ينادي **ناصف** بالإخلاص لحركة الشعر أكثر من إخلاصنا للنظام النحوي.

ويأتي **الفصل الثاني عشر بعنوان (نظام الشعر)**؛ إذ يؤكد الدكتور ناصف من بداية الكتاب على قوة الحوار، ويرى في هذا الفصل أن النقد نوع من أنواع تداخل النصوص، بمعنى أن النص وتفسيره عمل جماعي خالص.

ومن المنظور التأويلي لفلسفة هانز جورج جادامر فإن الحوار مع النص هو محاولة لفهم الأعمال الأدبية بتوجيه التساؤلات التي يسمح بها مناخنا الخاص بتوجيهها "بينما نحن نسعى– في الوقت نفسه- إلى اكتشاف الأسئلة التي كان العمل ذاته يحاول الإجابة عنها في حواره الخاص مع التاريخ. حيث يتضمن منظرنا الحاضر علاقة بالماضي دائمًا. وفي الوقت نفسه لا يمكن إدراك الماضي إلا من خلال المنظور اللامحدود للحاضر؛ حيث إن قيمة تأسيس معرفة(خالص) بالماضي هي مهمة لا أمل فيها[٧١]؛ "ذلك لأن الهرمنيوطيقا لا تفصل بين العارف وموضوع المعرفة في الفهم على نحو ما هو مألوف في العلم التجريبي، بل تنظر إلى الفهم من حيث

[٦٧]- ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، (٢٠٠٠)، ص ٢٠٨.
[٦٨]- السابق نفسه، ص ٢١٨.
[٦٩]- السابق نفسه، ص ٢١٩.
[٧٠]- السابق نفسه، ص٢١٧.
[٧١]- أبو طالب: هرمنيوطيقا المسرح ... لعبة السلطان نموذجًا، (يناير- مارس ٢٠٠٩)، ص ٢٩١.

هو انصهار للماضي والحاضر. ذلك أننا لا نستطيع ان نقوم برحلتنا إلى الماضي من دون ـأن نأخذ الحاضر معنا".[٧٢]

ويرى **ناصف** أن الشاعر في التراث العربي أنتج للأدب العديد مستغن عن ذاتيته في الأدب. والحوار هو العمل الجماعي الذي يقوم على إنتاج النص وتفسيره.

"إن المتتبع لتطورات الشعر يلاحظ هذا الحرص الواضح على أن يكون الشعر القديم جزءًا من نسيج الشعر الحديث، الشعر القديم يتحول إلى حلم وطيف، والثقافة الحديثة لا تستطيع أن تعيش على السطح دون تفاعل مع هذا الطيف. ربما غلبها الطيف، وربما استحال الطيف نفسه فأصبح ثقافة... والثقافة الحديثة لا تستطيع أن تعيش على السطح دون تفاعل مع هذا الطيف"[٧٣]

ونخلص من هذا التأويل السابق أن الحوار مع الشعر القديم هو نتاج جزئي للشعر الحديث؛ لذا فإن إثبات **ناصف** لفكرة القبول والحوار مع النص يحتاج مزيدًا من العناء.

كذلك يستهل **الفصل الثالث عشر (الإحساس الأخلاقي)** بفكرة حجب النص ونبرته الداخلية، وقانون التجاذب والتنافر بين البلاغة والنقد، يقول: "وليس على البلاغة من بأس إذا لم تفصح إفصاحًا كاملًا. فالإفصاح الكامل سراب. والسمة الأولى للنص أنه يفصح عن أشياء ويطوي أشياء"[٧٤].

ومما يؤكد مناصفة **ناصف** للقديم والنظر إليه بعين الاعتبار والإنصاف قوله: "إذا أردنا أن نجدد البلاغة فلنبحث فكرة الانفصال بحثًا وئيدًا. الانفصال مرتبط بالمغامرة والبداوة وروح البكارة الأولى والتطلع إلى مجهول بعيد. الانفصال أعرابي وحشي، والانفصال أيضًا قد يكون حضريًا ذهنيًا. الانفصال نذير غامض أولًا. والانفصال تخييل وظرف ثانيًا. هذ النذير يتمثل في الفعل الطلبي الذي قل اللجوء إليه مع الأيام. لكننا ربطنا البلاغة ربطًا تعسفيًا مخزيًا بفكرة الركود والموت أو النهج المبالغ فيه"[٧٥].

فيخلص من رفض وصف البلاغة القديمة بالركود أو الموت بما يسميه التجاذب والنفور بمعنى إقامة الحوار بين الوصل والفصل.

ويأتي **الفصل الرابع عشر بعنوان (قوة الكلمة)**، ليتساءل **ناصف** عن "معنى قوة الكلمة، ثم يوضح أن حسن تصور الكلمة بوجه عام أمر أجل من المهارة اللسانية، لأنه باب حيوية الذهن والبصيرة؛ لذا جاءت الحاجة إلى نوع من النقد الفكري اللغوي.

---

[٧٢]- سلدن: *النظرية الأدبية المعاصرة*، ترجمة: جابر عصفور، (١٩٩١م)، ص ٣٠
[٧٣]- ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، (٢٠٠٠م) ، ص ٢٣٥.
[٧٤]- السابق نفسه، ص ٢٣٨.
[٧٥]- السابق نفسه، ص ٢٤٢.

الوصل والفصل مع الكلمة نوع من التأمل في قوة الكلمة والوجود الباطني العربي لها. ويرى البلاغيون أن الكلمة القوية أعمق من أن تكون مسألة ضيقة، فالكلمة القوية كانت بمثابة الحلم "الكلمة القوية في البلاغة لم يكن بحثًا أدبيًا، خاصًا، بل كان بحثًا انتقاديًا جوهريًا ثقافيًا"[٧٦].

أما **الفصل الخامس عشر والأخير فعنوانه (الحوار الداخلي)**، ويتحدث فيه عن أهمية الحوار في النقد الحديث؛ فإن وظيفة النقد المعاصر في مجتمعاتنا العربية هو تحديد مفهوم التوجه العلمي وطبيعته تحديدًا يخالف ما كان عليه حال العلم الإنساني من قبل، فقد خرج من دائرة الفروض الإيديولوجية الضخمة في نظرياته، وإجراءاته ليلتمس مدخلًا صحيحًا للعملية المتنامية المتراكمة، متسقًا في ذلك مع منظومة العلوم الإنسانية في حركتها المتواصلة لتعديل إستراتيجيتها كي تتوافق مع التطور المحدث[٧٧].

وقد تنبهت البلاغة العربية إلى تقنية الحوار، وكيف يكون حوارًا داخليًا، وكيف يكون خارجيًا، وجاء تنبههم للحوار الداخلي في عدة أبنية، مثل قول **دريد بن الصمة**[٧٨]**:**

نصحت لعارض وأصحاب عارض ورهط بني السوداء والقوم شهدي

وقلت لهم: ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المزرد

فلما عصوني، كنت منهم وقد رأى غوايتهم، وأنني غير مهتد

كما تنبهوا إلى ما يسمى **(الحوار المحكي)** في بنية أسموها **(الترجيع في المحاورة) أو(الترجيع)**، وهي أن يحكي المتكلم مراجعة القول جرت بينه وبين غيره[٧٩]، مثل قول **أبي نواس**:

قال لي يومًا سليمان وبعض القول أشنع

قال صفني وعليًا أينا أتقى وأروع

قلت إني إن أقل ما فيكما بالحق تجزع

قال: كلا، قلت: مهلًا قال: قل لي، قلت فاسمع

قال: صفه، قلت يعطي قال: صفني، قلت تمنع[٨٠]

---

[٧٦]– ناصف: النقد العربي نحو نظرية ثانية، (٢٠٠٠م)، ص ٢٤٨.

[٧٧]– فضل: مناهج النقد المعاصر (تجليات أدبية)، (٢٠٠٢م)، ص ٧،٨.

[٧٨]- قال "دريد" هذه الأبيات في رثاء أخيه "عارض"؛ ليبرّر طاعته لقومه (في النزول بعد المعركة في منعرج اللوى) بأنه واحد من قومه يصيبون فيصيب معهم، ويخطئون فيخطئ معهم (مع أنه كان واثقًا من أن ذلك كان خطأ) انظر عمر فرّوخ: تاريخ الأدب العربي، ج١، ص٢٢٨-٢٣٠.

[٧٩]- عبد المطلب: القراءة الثقافية، (٢٠١٩م)، ص ١٢٥.

[٨٠]- السابق نفسه، ص ١٢٦.

وأخيرًا، أتفق مع رأي **صلاح فضل** في أنه "كلما أصبح النقد علميًا وتخلص بقدر الإمكان من الفروض الأيديولوجية، واتجه إلى المستقبل كان أكثر عملية وتواصلًا مع الفكر الإنساني وأكثر عونًا لنا في الآن ذاته على اكتشاف خصوصيتنا في هذا العصر واختلافها عما كانت عليه في العصور الماضية"[٨١].

يختلف وعي د. مصطفى ناصف عن غيره، إذ يعطي للنقد فرصة أكبر من مجرد إطلاق أحكام مجردة إلى وعي، وفكر يجعل القارئ غير مقتصر على فكرة القراءة والتلقي فحسب، وإنما متجاوب مع تلك المعطيات التي أرساها سابقوه، ولا تقتصر تلك الحيثية على النظرة المادية البحتة، وإنما تجعل للنص روحًا تساعد على تلقيه وإدراكه بشكل يضيف إلى الإبداع إبداعًا.

والوعي الذي أقصده هنا هو وعي "في جوهره منافٍ تمامًا لسمة الجمود والتكلس التي تحرص التصورات السالفة على الإمساك بها، والاحتماء بحضانتها، أو الاتكاء مركزيًا عليها"[٨٢].

وتفصح المدلولات المعجمية للوعي عن مقاصد: الجمع، والحفظ، والفهم، والقبول، والتقدير، وسلامة الإدراك للشيء على حقيقته.

ويعرف **برنارد بارز** الوعي بأنه: "مسرح حقيقي نشط"، ودراسة الوعي تؤدي إلى عودة التكامل بين المذهبين العلمي والإنساني؛ مما يؤدي إلى تلاشي القسمة المتعسفة بين هذين المذهبين، والتي عاشتها الإنسانية في القرن العشرين[٨٣].

ويرتبط الوعي بالإدراك، وشرط الوعي سلامة الفهم، ومعرفة الشيء على حقيقته كما هو في واقعه لا كما يتصوره أحدُ من الناس متوهمًا أنه الحق أو الحقيقة.[٨٤]

تهدي **سوزان بلاكمور** كتابها **لغز الوعي** "إلى الماديين الذين يتوهمون أن العلم قادر على تقديم التفسير المادي لإنسانية الإنسان.. والذين كلما أعجزهم تفسير إحدى خصوصياتنا أشاحوا بوجوههم وقالوا...توهم!!"[٨٥]

وبتلك النظرة الواعية يدعو **ناصف** إلى الربط بين الماضي والحاضر بقراءة التراث خصوصًا البلاغة قراءة ثانية، كونها المفتاح الرئيس للثقافة العربية، معتمدين على الحوار مع النص. وقد خلص البحث إلى هذه الملاحظات العامة:

١. إن القراءة المتعددة التأويل تمنح النص أبعادًا أخرى جديدة منتجة ومبدعة تتعدى حدود الضيق والمسلمات إلى أفق الفضاء الرحب من التساؤلات والاستشرافات الباطنية داخل النص، وهذا يحتاج وعي كبير وناقد على درجة عالية من الانفتاح المعرفي والثقافي والحضاري كمصطفى ناصف.

---

[٨١]- فضل: مناهج النقد المعاصر (تجليات أدبية)، (٢٠٠٢م)، ص٧.

[٨٢]- عبد السلام: وعي الشعر (دراسات محكمة في التأسيس والتطبيق) أبو تمام- محمود درويش- أدونيس، (٢٠٢٠مـ)، ص ٩ وما بعدها.

[٨٣]- سوزان بلاكمور: لغز الوعي (حوارات الوعي)، (٢٠١٩م)، ص ٣١٥-٣١٨.

[٨٤]- عبد السلام: وعي الشعر (دراسات محكمة في التأسيس والتطبيق) أبو تمام- محمود درويش- أدونيس، (٢٠٢٠م)، ص١١.

[٨٥]– سوزان بلاكمور: *لغز الوعي (حوارات الوعي)*، (٢٠١٩م)، ص ٩.

٢. كان الانفتاح للتأويل الثقافي المشروع الذي سعى لتفجير خفايا النص ومكبوتاته، ووصل إلى قرار ثابت، وصورة واضحة بعد طرحه التساؤلات بغية الوصول إلى انفتاح واعٍ لا قصور فيه أو خروجًا عن مقصديات النص السياقية.
٣. يلازم الثراء الدلالي للمصطلحات معرفيًا مفهوم الإضاءة الواعية على جوانب النص المتعددة فتخرجه من الدلالات الثابتة الساكنة إلى دلالات أكثر رحابة وسعة في دلالات متحركة.
٤. لا يصطدم الانفتاح الدلالي مع تعدد قراءات النص في حال عدم الانفلات من أطر النص العامة الثابتة.
٥. لا يمكن حصر مقصدية تتعدد مناهج القراءة النقدية في إطار موحد أو منهج ثابت، وإنما مجموعة من التيارات والاتجاهات التي تنبع من قارئ واع متعدد المشارب المعرفية والثقافية، لذا فإن المزج بين وعي النص، ووعي الناقد هي مهمة هذا الانفتاح على النص.

قائمة المراجع

المراجع العربية:

القرآن الكريم.

أسماء معمري: **البلاغة العربية من منظور النقد الحديث من خلال-النقد العربي نحو نظرية ثانية-لمصطفى ناصف**، إشراف الأستاذة: كوثر ثامن، الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي، جامعة العربي بن مهيدي- أو البواقي-، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم اللغة العربية والأدب العربي، (مذكرة مكملة لنيل درجة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي مسار: نقد أدبي حديث ومناهجه)، ٢٠١٤/ ٢٠١٥.

أمبرتو إيكو، (٢٠٠٩م)، **التأويل والتأويل المفرط**، ترجمة: ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، الطبعة الأولى.

أنقار- سعاد: (يناير -مارس ٢٠٠٩م)، **البلاغة والاستعارة** ل. إ. أ ريتشارد: "فلسفة البلاغة"، عالم الفكر، العدد الثالث، المجلد ٣٧.

إيرينار. مكاريك، (٢٠١٦م) **موسوعة النظرية الأدبية المعاصرة (مداخل، نقاد، مفاهيم)، (١) مداخل**، ترجمة: حسن البنا، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى.

بارة (عبد الغاني): (٢٠٠٥م) **إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى.

تزفيتان تودروف، (١٩٨٦م)، **نقد النقد رواية تعلم**، ترجمة: د. سامي سويدان، مراجعة: د. ليليان سويدان، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، الطبعة الثانية.

تليمة (عبد المنعم): (٢٠١٣م) **مداخل إلى علم الجمال الأدبي ومقدمة في نظرية الأدب**، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، د. ط.

جاسم - باقر محمد، (مارس ٢٠٠٩م)، **نقد النقد أم الميتا نقد**، محاولة في تأصيل المفهوم، مجلة عالم الفكر، العدد ٣، المجلد ٣٧.
حمداوي(جميل)، (٢٠١٠م)، **مناهج النقد العربي الحديث**، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى.

خوري(أنطوان)، (١٩٨٤م) **مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، سلسلة الفكر المعاصر**، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى.

الدغمومي- محمد(١٩٩٩م) **نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم ٤٤، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى.
دنيا باقل: **التراث البلاغي والبحث اللساني المعاصر مقاربة لسانية**، جامعة ابن خلدون، تيارت الجزائر، المجلد الرابع، العدد الثاني، أغسطس، ٢٠١٩م

رامان سلدن، (١٩٩١م) **النظرية الأدبية المعاصرة**، ترجمة: جابر عصفور، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة.

الرويلي- مليجان، البازعي- سعد (٢٠٠٢م)، **دليل الناقد الأدبي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الثالثة.
سوزان بلاكمور، (٢٠١٩م) **لغز الوعي (حوارات الوعي)**، ترجمة: عمرو شريف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى.

سيد البحراوي(سيد)، (١٩٩٣م)، **البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث**، دار شرقيات، القاهرة، الطبعة الأولى.

عبد السلام- عبد الرحمن:
(٢٠١٦م) **فتنة التأويل المتنبي من النص إلى الخطاب**، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى.
(٢٠٢٠م) **وعي الشعر (دراسات محكمة في التأسيس والتطبيق) أبو تمام- محمود درويش- أدونيس**، دار البشير، الطبعة الأولى.
عبد المطلب - محمد:
(١٩٩٤م) **البلاغة والأسلوبية**، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، الطبعة الأولى.
(٢٠١٩م) **القراءة الثقافية**، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة.

عبد الواحد - محمود عباس، (١٩٩٦م)، **قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي (دراسة مقارنة)**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١.
عدنان- عزيز محمد، يناير- مارس ٢٠٠٩م، **حدود الانفتاح الدلالي في قراءة النص الأدبي**، عالم الفكر، العدد ٣ المجلد ٣٧.
عصفور (جابر)، ١٩٩٤م، **قراءة التراث النقدي**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

عمر فروخ: **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، لبنان - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م.
فضل- صلاح، (٢٠٠٢م) **مناهج النقد المعاصر (تجليات أدبية)**، ميريت للثقافة والنشر، القاهرة.
الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب): (١٩٩٥م)، **القاموس المحيط**، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى.

قاسم- سيزا، (ربيع ١٩٩٨م)، **تولد النص وإشباع الدلالة، تطبيقًا على تفسير القرآن**، مجلة البلاغة المقارنة ألف، العدد ٨، الجامعة الأمريكية، القاهرة.
أبو طالب (أسامة): (يناير- مارس ٢٠٠٩م) **هرمينوطيقا المسرح ... لعبة السلطان نموذجًا**، العدد ٣، المجلد ٣٧.
مارتن هيدجر، (٢٠١٥م) **الأنطولوجيا هرمينوطيقا الواقعانية**، ترجمة وتقديم وتعليق: د. عمارة الناصر، منشورات الجمل، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى.
مرتاض- عبد الملك، (٢٠١٠م) **في نظرية النقد**، دار هومه، الجزائر.

ناصف- مصطفى:
(فبراير ١٩٩٧م) **محاورات مع النثر العربي**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
(يناير ١٩٩٥م) **اللغة والتفسير والتواصل**، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت.
(مارس٢٠٠٠م) **النقد العربي (نحو نظرية ثانية)**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

English References

Abd al-Salam - Abd al-Rahman, (2016 AD), The Sedition of Al-Mutanabi Interpretation from the Text to the Discourse, Library of Arts, Opera Square, Cairo, first edition.

Abdel Wahed - Mahmoud Abbas, (1996 AD) Reading the text and the aesthetics of reception between modern Western doctrines and our critical heritage (a comparative study), Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, first edition.

Abdul Muttalib - Muhammad:

Abu Talib (Osama): (January-March 2009 AD) Hermeneutics of Theatre... The Sultan's Game as a Model, Issue 3, Volume 37.

(2019 AD) Cultural Reading, The Egyptian General Book Authority, Cairo.

(February 1997 AD) Dialogues with Arabic Prose, The World of Knowledge, National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait.

(January 1995 AD) Language, Interpretation and Communication, The World of Thought, National Council for Culture, Arts and Literature - Kuwait.

Adnan-Aziz Muhammad, January-March 2009 AD, The Limits of Semantic Openness in Reading a Literary Text, World of Thought, Issue 3, Volume 37.

Al-Daghmoumi- Muhammad (1999 AD) Criticism of Criticism and Theorizing Contemporary Arab Criticism, Publications of the Faculty of Arts and Humanities in Rabat, Series of Letters and Theses No. 44, New Najah Press, Casablanca, First Edition

Al-Fayrouzabadi (Muhammad bin Yaqoub): (1995 AD), Al-Qamous Al-Muheet, set and documented: Yusuf Al-Sheikh Muhammad Al-Baqai, Dar Al-Fikr for printing, publishing and distribution, Beirut, first edition.

(1994 AD) Rhetoric and Stylistics, Library of Lebanon Publishers, Egyptian International Publishing Company, Longman, first edition.

Al-Ruwaili- Milligan, Al-Baz'i- Saad (2002 AD), The Literary Critic's Guide, the Arab Cultural Center, Casablanca- Morocco, third edition.

Ankar- Souad: (January-March 2009 AD), Rhetoric and Metaphor, L.A. Richard: "Philosophy of Rhetoric," Alam Al-Fikr, Issue Three.

Asfour (Jaber), 1994, Reading Critical Heritage, Eye for Human and Social Studies and Research, first edition.

Asmaa Maamari: Arabic rhetoric from the perspective of modern criticism through Arab criticism towards a second theory - by Mustafa Nassif / Supervised by Professor/ Kawthar Thameen, People's Democratic Republic of Algeria, Ministry of Higher Education, Larbi Ben M'hidi University - or El Bouaghi - , Faculty of Arts, Languages and Social Sciences and Humanities, Department of Arabic Language and Arabic Literature, (a supplementary memorandum for obtaining a master's degree in the field of Arabic language and literature, track: modern literary criticism and its curricula), 2014/2015.

Bara- Abdel-Ghani: (2005 AD) The problem of rooting modernity in contemporary Arab critical discourse, the Egyptian General Book Organization, Cairo, first edition.

Donia Baqel: Rhetorical Heritage and Contemporary Linguistic Research, A Linguistic Approach, Ibn Khaldun University, Tiaret, Algeria, Volume Four, Issue Two, August 2019.

Fadl- Salah, (2002 AD) Methods of Contemporary Criticism (Literary Manifestations), Merritt for Culture and Publishing, Cairo.

Hamdaoui (Jamil), (2010 AD), Methods of Modern Arab Criticism, Al Maarif Library, Rabat, Morocco, first edition.

irinar. McCarrick, (2016 AD) Encyclopedia of Contemporary Literary Theory (Entrances, Critics, Concepts), (1) Entries, translation: Hassan Al-Banna, National Center for Translation, Cairo, first edition.

Jassim - Baqer Muhammad, (March 2009 AD), Criticism of Criticism or Metacriticism, An Attempt to Root the Concept, Alam Al-Fikr Magazine, Issue 3, Volume 37.

Khoury (Antoine), (1984 AD) Introduction to Phenomenological Philosophy, Contemporary Thought Series, Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon, first edition.

Martin Heidegger, (2015 AD) Realistic Hermeneutics Anthology, translation, presentation and commentary: Dr. Amara Al-Nasser, Al-Jamal Publications, Beirut - Lebanon, first edition.

Mortada- Abdel-Malik, (2010 AD) in Criticism Theory, Dar Homa, Algeria.

Nassef (Mustafa), (March 2000 AD) Arab Criticism (Towards a Second Theory), The World of Knowledge, National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait.

Nassif- Mustafa:

Omar Farroukh: History of Arabic Literature, Dar Al-Ilm Lil-Millain, Lebanon - Beirut, fourth edition, 1981 AD.

Qasim-Siza, (Spring 1998 AD), Generating the Text and Satisfying the Significance, Applying it to the Interpretation of the Qur'an, Journal of Comparative Rhetoric A, No. 8, American University, Cairo.

Raman Selden, (1991 AD) Contemporary Literary Theory, translated by: Jaber Asfour, Dar Al-Fikr for Studies, Publishing and Distribution, Cairo.

Sayed Al-Bahrawi (Sayed), (1993 AD), Research on the Method in Modern Arab Criticism, Dar Sharqiat, Cairo, first edition.

Susan Blackmore, (2019 AD) for Ghazaaloui (Dialogues of Consciousness), translated by: Amr Sharif, National Center for Translation, Cairo, first edition.

Talima (Abdel Moneim): (2013 AD) Introductions to Literary Aesthetics and an Introduction to the Theory of Literature, Egyptian General Authority for Books, Cairo, Dr.

The Holy Quran.

Tzvetan Todorov, (1986 AD), Criticism of Criticism, Learning Novel, Translated by: Dr. Sami Sweidan, Reviewed by: Dr. Lilian Sweidan, House of General Cultural Affairs, Ministry of Culture and Information, Iraq, second edition.

Umberto Eco, (2009 AD), interpretation and excessive interpretation, translated by: Nasser Al-Halawani, Center for Civilization Development, first edition.